**إبراهيم الشريف**

# كيف تحقق النجاح بدون معلم وتبني قوة النجاح في سبعة أيام بالطاقة الداخلية لإرادتك الكامنة وتصبح مليونيراً بدون معلم أيضاً

**(كتاب حقيقي)**

# الإهداء

إلى الطاقة الكامنة في سماء النجاح الموجودة داخل آفاق كل شخص يسعى لتحقيق ذاتيته الناجحة

## مقدمة

هذا الكتاب يجمع خلاصة حوالي 5,768 كتاباً في مجالات الفكر والأدب والطبخ وعلم النفس والجغرافيا وإدارة الأعمال وصيد الأسماك والفلسفة والمنطق والفقه والقانون وأحلام مستغانمي. اطلعتُ عليها كلها البارحة وجمعتُ منها الخميرة اللازمة لكي تصنع أيها القارئ العزيز خبز نجاحك الذي تعجنه بيديك من أحلامك التي حصدتها من حقول طموحاتك. أنا لا أريد منك شيئاً يا عزيزي القارئ، لو كنتَ عزيزتي القارئة فربما حينها قد أريد منكِ شيئاً (يُرجى التواصل معي عبر الرسائل الخاصة)، ولكن بصفة عامة لا أريد شيئاً سوى أن أساعدكم أيها القراء الأعزاء، الذين أتوقع أن عددكم سوف يصل إلى ملايين الملايين المليونية، أن أساعدكم على تحقيق النجاح، وأن أوفر عليكم الوقت، فلا داعي لأن تضيعوا مثلي مساءً كاملاً في قراءة كل نتاج الفكر البشري، يمكنكم قراءة خلاصة ذلك في هذا الكتاب القصير البسيط البديع.

ولذلك، وبدون المزيد من المقدمات، ها أنا ذا أضع بين يديكم هذا الكنز الذي سوف يغير حياتكم.

آه، نسيتُ أن أذكر أيضاً أن الكتاب مُستمد أيضاً من تجاربي الخاصة وسفرياتي الكثيرة وحياتي الحافلة وما نحو ذلك. المهم، اربطوا الأحزمة واستعدوا لتقلع بكم طائرة هذا الكتاب نحو تحقيق قدراتكم الدفينة.

# الفصل الأول:

# كيف تبدأ في تحقيق النجاح

اقرأ هذا الكتاب.

# الفصل الثاني:

# صفات الإنسان الناجح

الإنسان الناجح هو إنسان نجح في تحقيق النجاح، ولذلك، وعن طريق تفكيك هذا التعريف منطقياً، سنجد أن صفات الإنسان الناجح هي كما يلي:

1. الإنسان الناجح **إنسان**.
2. الإنسان الناجح إنسان **نجح**.
3. الإنسان الناجح إنسان نجح **في تحقيق**.
4. الإنسان الناجح إنسان نجح في تحقيق **النجاح**.

لذلك، يجب عليك عزيزي القارئ أن تكون إنساناً، لن يُفيدك هذا الكتاب وهذه الخطوات إن كنتُ دجاجة. ويجب عليك أيضاً أن تنجح، ولكن ركز معي، فنجاحك هنا له صفة معينة، لا يهمني إذا نجحت في امتحانات الجامعة أو نجحت في نيل رضا والديك، المهم هنا أن تنجح في التحقيق، وليس تحقيق المحقق كونان ولكن التحقيق بمعنى التجسيد على أرض الواقع. والشيء الذي يجب أن تكون قد نجحت في تحقيقه هو النجاح. وهذه فائدة المنطق يا عزيزي القارئ.

الإنسان الناجح هو أيضاً إنسان يتمتع بقدرة كامنة على الجاذبية. بصراحة يا عزيزي القارئ أنا لا أفهم معنى ذلك، مر علي الحديث عن "الجاذبية" كثيراً في تلك الكتب الكثيرة التي قرأتها لكي ألخصها لك، ولا أعلم هل يقصدون جاذبية جنسية، أو ربما جاذبية أرضية وقدرة على أن تدور حولك الكواكب، أو لعلهم يقصدون قدرة إدارية على أن تجذب طموحاتك وأهدافك وتحققها عن طريق جذبها بعزيمتك وإصرارك. ولذلك المهم تكون عندك جاذبية، وننتقل للفصل التالي.

# الفصل الثالث:

# خريطة النجاح

"قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ"

امرؤ القيس

أي شخص ناجح يجب أن يرسم خريطةً للنجاح، وفي ذلك نستمد حكمةً عتيقة من أحد أبرز الشعراء (شفت كيف أنا مثقف يا عزيزي القارئ؟)، فسنرى أن امرؤ القيس رسم خريطةً واضحة لكي يبكي بنجاح، فكان لا بد له من أن يقف عند سقط اللوى بين الدخول وحومل من أجل أن يفجر كامل إمكانياته الدفينة في البكاء. وأنت كذلك يا عزيزي القارئ عليك أن ترسم خريطة كاملة التفاصيل لأهدافك وطموحاتك وتطلعاتك وأحلامك لكي تستطيع تحقيقها.

# الفصل العاشر:

# كيف تضمن استمرار نجاحك

لعلك استغربت بداية الكتاب، تلك الفصول الأولى القصيرة المليئة بالحكمة والتفكيك المنطقي والثقافة قد لا تكون بدت لك مفيدةً فعلاً في تحقيق النجاح، ولكنني متأكد بأنك أدركت مع بداية الفصل الرابع، وعبر الفصول التالية وصولاً إلى هذا الفصل، أنني كتبت لك وصفة دقيقة وعلمية وكاملة الخطوات لتحقيق النجاح، وإن كنتَ قد اتبعت الجدول اليومي الوارد في الفصل الخامس، وطبقت كل نصائح الاستثمار المقسمة بين الفصلين السابع والثامن، فأغلب الظن أنك الآن مليونير ناجح يطبق أسرار إدارة الأعمال وتحقيق الفعالية القصوى التي وضحتها لك في الفصل التاسع. أرجو فقط أن لا تكون تلك الفصول قد سقطت سهواً أثناء طباعة هذا الكتاب.

والآن وقد تجسد نجاحك على أرض الواقع، فأغلب الظن أنك تتساءل كيف تحافظ على استمرارية هذا النجاح؟ والإجابة سهلة: أعد قراءة الفصول السابقة (من الرابع إلى التاسع) وطبق التعليمات الواردة فيها حسب الحاجة.

# الفصل الحادي عشر:

# النجاح النفسي

النجاح الحقيقي ليس مجرد بزنس وإدارة أعمال، النجاح ليس فقط رقماً في حسابك المصرفي وقصور وسيارات وسفر وصور على إنستاغرام تقهر بها متابعيك، كلا، النجاح أيضاً فيه جانب داخلي وروحاني ونفسي، وفيه تسخير للقوى الجوانية الكامنة وسيطرة على تيارات الوعي في مواسير العواطف وأنابيب الصرف الروحاني. وفيما يلي جمعت لك عزيز القارئ قواعد الحياة، وهي خلاصة تجاربي الشخصية في الحياة لكي تضمن النجاح على المستوى النفسي أيضاً بعدما ضمنته مادياً بقراءة الفصول من الرابع إلى التاسع. بكل جدية أرجو أن لا يحدث شيء لتلك الفصول.

# الفصل الثاني عشر:

# قواعد الحياة الناجحة لحياة تحكمها القواعد الناجحة

# 1

## النجاح يحققه الناجحون، فكُن ناجحاً.

# 2

إذا نساك من أحببته فلا تدع قلبك ينزف.

# 3

أبشع أنواع السرقة ليست سرقة المال ولكنها سرقة شحن الهاتف.

# 4

لتحقيق أفضل مستويات الأداء في العمل عليك السعي نحو رفع مستويات الأداء.

# 5

المستثمر الذكي لا يُقلِّد السوق ولكن يستبق السوق، والمستثمر العبقري يحتكر السوق، والعاشق الحقيقي لا يبكي على الماضي ولكن يبتسم للمستقبل.

# 6

لا بد للإنسان أن يُحقق وعياً قوياً يخترق كل الحجب التي تحيط به والتي تحجب عنه حقيقة العالم الذي يتحكم به الأقوياء وأصحاب المال والنفوذ. هذا الوعي ضروري في عصرنا الراهن للتخلص من كل التمويه والتضليل المتعمد الذي لا يمارسه أصحاب السلطة وحسب ولكن تمارسه أيضاً الأوساط الإخبارية والثقافية، إرادياً ولا إرادياً، في استجابة مزدوجة لسلطة أصحاب النفوذ وأيضاً لسلطة الغوغاء الشمولية التي أصبحت تُقولب العالم في إطارات "الرائج" و"المطلوب"، فلم تعد الأخبار مثلاً تهتم بكشف قضايا الفساد والتحالفات السياسية المشبوهة لأن هذا ببساطة ليس "ما يطلبه المشاهدون"، وأصبحت الأخبار التافهة الرائجة، سواءً كان رواجها ناتجاً من العنف و"الأكشن" أو من إثارة الجدل السطحية بقضايا اجتماعية ليس لها على أرض الواقع أي تداعيات حقيقية. وقد انجرت النخب وراء هذه السحب الدخانية فصرنا نرى المفكرين والمؤثرين يتعمقون في مسائل لا تقدم ولا تؤخر، ويتجاهلون التغول الرأسمالي بالمفاهيم الحداثية المتهافتة الذي أدى لصناعة مجتمعات متناقضة مع نفسها تخلق

مواطنين ومواطنات يعانون من عقد نفسية حول تحقيق الذات المستحيل في هذه المطحنة الرأسمالية التي لا تُشبع إلا شبق أصحاب النفوذ، المجتمعات المنهارة التي تُبنى على حُطام الأحلام وركام الطموحات لتلك الجموع المسحوقة من البشر الذين لم يعد الدين ولا الثورة ولا الاشتراكية ولا العمال ولا القبيلة ولا أي شيء يوفر لهم ولو مساحةً للحلم بمستقبلٍ أفضل فصار الجميع يلهثون بلا وعي في هذا السجن الرأسمالي وراء حلم لا يدركون بأنه مجرد سحابة دخان سوداء لا تخفي وراءها شيئاً سوى هاوية بلا قاع، مجرد فخ لتسقط عبره الحشود لكي تبقى جيوب أصحاب النفوذ مليئة وعميقة وهي الأخرى هاويات بلا قيعان... آسف، فقدت الوعي قليلاً، آه، قاعدة للنجاح؟ من جد وجد وحصد زرع وما نحو ذلك... ماذا حدث؟

# 7

توقف بين الحين والآخر لتنشق عبير الزهور.

# 8

الأصدقاء الحقيقيون هم أولئك الذين يمنعونك من ارتكاب الحماقات وإرسال رسالة في منتصف الليل إلى الأشخاص الذين غادروا حياتك لأنك فقط تريد أن تسترد الشعور بإحساس بالألفة والقُرب الإنساني وهم أيضاً أولئك الذين يدفعون الحساب بين الحين والآخر.

## 9

التاجر البارع يدخر القرش الأبيض لليوم الأسود، والتاجر الخبير يُقرضه القرش الأبيض ويفرض عليه فوائد.

# 10

إياك أن تظن أن الحياة مجرد نوم.

# 11

أفضل أربعة أشياء في الحياة ثلاثة فقط: النوم والرقاد.

# 12

إذا كانت الموسيقى غذاء الروح، فالقراءة غذاء العقل، والكتابة غذاء الفكر، والرياضة غذاء الجسد، والتجارة غذاء الجيب، والنوم غذاء الراحة، والطعام غذاء الغذاء.

# 13

إذا فشلت لا تتوقف عن المحاولة، وإذا حاولت لا تتوقف عن الفشل لكي تستمر في المحاولة.

# 14

الفرقة المتوسط الجامعة بين البحث عن المعقول والمنقول، الجاعلة كل واحد منهما أصلاً، المنكرة لتناقض العقل والشرع؛ لأن من كذب الشرع فقد كذب العقل أيضاً؛ لأن العقل هو الدليل على الشرع وكونه حقاً. ومن كذب العقل فقد كذب الشرع؛ إذ بالعقل يعرف صدق الشرع. ولو صرف دليل العقل لما عرف الفرق بين النبي والمتنبي، والصادق والكاذب. فكيف يكذب العقل الشرع، وما ثبت الشرع إلا بالعقل؟

فهولاء هم الفرقة المحققة، وقد نهجوا منهجاً قويماً، إلا أنهم ارتقوا مرتقى صعباً، وطلبوا مطلباً عظيماً، وسلكوا سبيلاً شاقاً؛ فلقد تشوفوا إلى مطمع ما أقصاه، ونهجوا منهجاً ما أوعره. ولعمري ذلك سهل يسير في بعض الأمور، ولكنه شاق عسير في الأكثر.

# 15

صفات يمتلكها الجذابون:

1- لا يستمدون قوتهم إلا من أنفسهم، فكل منهم لديه في داخله محطة توليد كهرباء.
2- لا يقفون طويلاً عند نجاحهم، لكي لا يسببوا زحاماً في طابور النجاح.
3- لا يستغني الآخرين عنهم، لأنهم أكسجين كما يبدو.
4- لا يوقفهم الفشل بل يحاولون مرة أخرى، لأن الفشل ليس إشارة مرورية.
5- لا يتصرفون وكأن العالم وُجد ليناسبهم، لأنه من المعروف أن العالم ليس حذاءً على مقاسك.
6- والله مازلت لا أعلم ما معنى "الجاذبية".

# 16

زبدة الحياة بالنسبة لك قد تكون جبنة بالنسبة لغيرك.

# 17

"عندما قالوا لي في المستشفى زوجتك ماتت، لم أعرف حينها ماذا أفعل، كنتُ سأذهب إلى المنزل لأخبرها بما حصل لكي تقول لي هي ماذا أفعل."

ليو تولستوي.

# 18

"الاقتباس في الصفحة السابقة غير صحيح ولم أقله ولم أكتبه وليس لي علاقة به."

ليو تولستوي.

# 19

في الغرب يدعمون الفاشل حتى ينجح، وفي الشرق الرجل تربيه أمه حتى يجلس في مقهى ويقول المرأة بنصف عقل ويفشل نفسه بنفسه بارك الله فيه وفر علينا مهمة دعمه لكي ينجح لأنه يريد حرية الوصول للمرأة وليس حريتها.

## 20

العلم ليس شهادة والحياة ليست وظيفة، لكن الشهادة تساعد في الحصول على وظيفة لكي تكسب مرتباً وتعيش حياتك.

# 21

إذا كان الكلام من فضة فالوقت كالسيف لا يقطع الفضة.

# 22

ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فلا تظن أن الليث يبتسم.

# 23

باب النجار الذي تأتي منه الريح مخلع، فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.

## 24

إذا لم تعد تستطيع اختراع حكم وأمثال اخلط حكم وأمثال قديمة ببعضها ومشي حالك.

# 25

كان عباس رجلاً فقيراً، ولكنه يعاني في ظلمات حياته، كان يفكر كل يوم في أن يهاجر إلى اليابان حيث يمكنه أن يعيش حياته هناك في ثقافة غريبة كلياً وبين ناس غرباء تماماً لا يعرف لغتهم ولا شيء عنهم فقط شاهد له مسلسلين ثلاثة أنمي وقرأ كتاب ولا اثنين ليوكيو ميشيما وكم قصيدة هايكو فصار حلمه العميق أن يهاجر بعيداً عن عالمه إلى عالم غريب كلياً ظناً بأن كل الحلول موجودة هناك، بينما كل ما يوجد هناك هو الغموض. ولكن عباس كان يقرأ دوستويفسكي وكافكا، فلا بد أنه يفهم كل شيء في الحياة. أظن أنه قرأ أيضاً لكونديرا أو سيوران. عباس بطل رواية وحياته ليست قصة قصيرة. للأسف حياته أحداثها باردة وسخيفة، والسرد مبتذل، ولا توجد حبكة حقيقية تشد القارئ ولا تطور في شخصيته ولا شيء. لكن عباس يمثل جيلاً كاملاً في الأغلب يظن أنه أفضل ممن يشترون مثل هذا الكتاب الذي أؤلفه الآن بكل عبقرية، أهلاً عزيزي القارئ، اشتقت لك وها نحن نلتقي من جديد بشكل مفاجئ في هذه القصة القصيرة المفاجئة، كيف حالك؟ حققت أحلامك وكسبت ملايين

وهاجرت لليابان بعد قراءة هذا الكتاب؟ جيد، كنتُ واثقاً من ذلك، المهم استمر في القراءة لكي تضمن النجاح النفسي. أين كنا؟ آه، نعم، عباس. المهم عباس يمر بتجارب ويفكر أفكار مبتذلة ويسخر من مجتمعه دون أن فهم حقيقي لمشاكل المجتمع ثم يفعل أشياء وتنتهي قصته نهاية متفائلة بينما هي في الحقيقة نهاية غبية بلا أي تطور ولا أي مستقبل.

## 26

راحة البال لا تُشترى بالدولار، ولكنها تُباع بالعملة المحلية حسب لوائح المصرف المركزي وتوصيات صندوق النقد الدولي.

# 27

قل لي ماذا تقرأ، أقل لك ماذا تقرأ.

# 28

# 29

إذا كنتَ تقرأ كتاباً عن تحقيق النجاح فلا تتوقف عن قراءته. أرجوك يعني...

# 30

**لماذا يجب أن نقرأ لإدوارد سعيد؟** إذاكنا من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (وهو ما سأشير له بأنه "الشرق")، فإن إدوارد سعيد سوف يساعدنا على إزالة الصور الوهمية التي رسمها لنا الغرب والتي – للأسف – يساهم بعض أهل الشرق في الحفاظ عليها وإعادة رسمها. إدوارد سعيد سوف يكشف لنا وجود مؤسسة الاستشراق، وسوف يوضح لنا منهجية نقدية بحثية دقيقة لدراسة علاقات الهيمنة والخضوع والصراعات الثقافية المتخيلة، وسوف يفعل ذلك بشجاعة مدهشة والتزام صامد بمواقفه. **ولكن، ما هي مؤسسة الاستشراق؟** حين نقرأ لإدوارد سعيد سنُدرك وجود مؤسسة الاستشراق، التي لا يُقصد بها مؤسسة حقيقية، مبنى وشركة ومدير عام وموظفين! ولكن هذا وصف مجازي يُشير إلى **ظاهرة** موجودة ومستمرة، بالتحديد في تعامل الغرب مع الشرق من الناحية المدنية (الأكاديمية، الثقافية، الفنية، إلخ) ومن الناحية السياسية (السياسات الحكومية، الدبلوماسية، العلاقات الدولية، إلخ). ولكي نعطي مثالاً يُقرب الفكرة، يمكننا مقارنة مؤسسة الاستشراق بمؤسسة البطريركية، أي ظاهرة الهيمنة الذكورية في العالم: لا يوجد شخص واحد أو جهة واحدة وراءها، ولكنها ظاهرة منتشرة وأفكارها **النمطية التعميمية** متغلغلة في كل جوانب الحياة؛ المرأة ضعيفة، المرأة ليست ذكية، المرأة لا تستطيع فعل هذا أو ذاك، المرأة تسيطر عليها عواطفها، إلخ إلخ إلخ، والنتيجة **العملية** أن المرأة بالرغم من كونها تمثل نصف المجتمع إلا أنها لا تؤدي دوراً في المجتمع يتوافق مع ذلك، فهي مثلاً لا تتولى نصف المناصب السياسية أو الإدارية في المجتمعات (في العالم كله، وليس في الشرق فقط، مع استثناءات هنا وهناك في الأغلب في بعض الدول الأوروبية). هذا تأثير مؤسسة البطريركية التي رسخت مكانة الرجل العليا ورسخت صورة **وهمية** للمرأة تضعها في مستوى أدنى. نفس الشيء تفعله مؤسسة الاستشراق فيما يخص الشرق، من حيث نشر صور **نمطية تعميمية وهمية** عن الشرق، تؤدي إلى نتائج **عملية** في التعامل المدني والسياسي مع الشرق؛ فنرى صورة الشرقيين في الأفلام والمسلسلات مثلاً دونية ونمطية وعبيطة، ونرى سياسات الدول الغربية تجاه الشرق (وبالأخص الإسلام) عدوانية ودفاعية وتجريمية. **هل هذه نظرية مؤامرة؟** حسناً، أعلم أن الكلام يبدو وكأنه نظرية مؤامرة والغرب المتوحش وكائنات فضائية والماسونية العالمية، ولكن حين نقرأ لإدوارد سعيد سوف نكتشف أن الأمر ليس كذلك... مثال مؤسسة البطريركية يوضح كيف يمكن لظاهرة أن تنتشر بشكل خفي (وغير مُعترف به) وتؤدي إلى نتائج عملية، ولكي نزيد من توضيح فكرة أن **الصور الخاطئة الوهمية** قد تنتشر لدرجة أن **تختزل** فئة كبيرة من البشر، فيمكننا أخذ مثال أقرب إلى الشرق: مثال النقاب (أو الخمار، أو البرقع). النقاب أو تغطية وجه المرأة مسألة أقل ما يمكن أن يُقال حولها أنها مسألة خلافية، غالبية علماء الفقه يقولون بعدم وجوب تغطية وجه المرأة ولكن هنالك أقلية تقول بوجوبه، ومن ناحية الممارسة أيضاً فإن النساء اللاتي يرتدين النقاب أقلية مقارنةً بمن لا يغطين وجوههن، ومع ذلك فقد أصبح النقاب رمزاً في العالم للمسلمين، وهكذا **يُختزل** مليار مسلم، بفرقهم ومذاهبهم وثقافاتهم وعاداتهم المختلفة، في صورة **نمطية تعميمية** غير صحيحة غالباً ما يربطها الغرب بمفاهيم سلبية. أما إذا أردنا مثالاً أن نرى كيف يمكن أن تنتشر الصور **النمطية التعميمية الوهمية** بصفتها **حقائق موضوعية** فيمكننا النظر لبعض المستشرقين وبعض "خبراء الشرق" الذي يُعتبرهم البعض جهابذةً لا يُشق لهم غبار، ومن بينهم مثلاً برنارد لويس الذي توفي مؤخراً. أي شخص له دراية بسيطة بالتراث الإسلامي (التاريخي والفقهي واللغوي مثلاً) يستطيع أن يجد العديد من الأخطاء الفادحة في كتابات برنارد لويس، ومع ذلك يتم رفع مكانة برنارد لويس وتقديره واعتبار أعماله أعمالاً علمية موضوعية معتمدة ليكون أبرز خبير حول الشرق والإسلام، لدرجة أنه تم تعيينه مستشاراً لبعض الحكومات، ولدرجة أن الشرقيين أنفسهم أصبح بعضهم يتركون مصادر المعلومات المتوفرة بين يديهم ويذهبون لكتب لويس! وكل هذا وبرنارد لويس لديه أخطاء بحثية وأخطاء تفسيرية وأخطاء حتى لغوية، ناهيك عن التحيز الاستشراقي الواضح في كلامه. الرجل كان يعمل مع الحكومة الأمريكية ويؤثر في سياساتها الدولية وحروبها في الشرق! فهل مازلنا نستطيع أن نستبعد مثل هذه الظواهر بكلام نظريات المؤامرات والماسونية المريخية؟! حين نقرأ إدوارد سعيد سوف ندرك أن المسألة ليست نظرية مؤامرات والإمبريالية تريد تدمير المسلمين والرأسمالية تريد سرقة خيراتنا ونابليون كان يريد تدمير أخلاق المرأة المسلمة وكارل ماركس كان يريد القضاء على كتابات ابن تيمية (هذه على فكرة اقتباسات حقيقية تداولها الناس، أقصد هي اقتباسات كاذبة طبعاً، لكن تداولها كان حقيقياً!)... هذه ليست القضية، القضية هي وجود **ظاهرة** حقيقية تحكم تعامل الغرب مع الشرق، ظاهرة بدأت منذ زمن بعيد ورسختها ركتابات المستشرقين، وانتقلت إلى كتابات الباحثين الأكاديميين والأعمال الفنية والأدبية، وظهر "خبراء الشرق" يكتبون الكتب والبحوث عن كيف يحلون مشاكل الشرق وكيف ينقذون الشرق، ويتم تعيينهم في مناصب استشارية وفي لجان تؤثر على سياسات دول، وكلهم في الحقيقة خبراء صور **نمطية تعميمية**... والأزمة لا تتوقف عند المستشرقين، بل ظهر لدينا في الشرق من يمكن وصفهم بأنهم "عُملاء حضاريون"، أشخاص شرقيون يزعمون أنهم يمثلون الشرق ولكنهم في الحقيقة يعيدون تدوير وترسيخ أفكار المستشرقين الغربيين، وكأنهم مُندسون ثقافيون أو طابور خامس فكري! هذا ما يفضحه إدوارد سعيد: إنها ليست نظرية مؤامرة، ولكنها ظاهرة خفية. **ولكن، هل مازال موضوع الاستشراق يهمنا إلى اليوم؟** كثيرون قد يرون أن الاستشراق تطور وابتعد عما ناقشه إدوارد سعيد في كتابه، وكثيرون لهم انتقادات على عمله (وأقصد هنا النقد الذي يكشف ثغرات أو عيوب ويصلحها ويطورها، ولا أقصد النقد الذي يحاول تدمير العمل كلياً). ولكني شخصياً أرى أن ظاهرة الاستشراق مازالت موجودة بقوة، وأنها تنتشر حتى في الشرق نفسه، ويكفي أن نرى ممارسات مثل **التنميط** ومثل **الاختزال** وعملية **خلق** صور مشوهة في تعامل الغرب (وحتى الشرق) مع قضايا مثل الإرهاب والتطرف الديني وفلسطين والهجرة لندرك أن ظاهرة الاستشراق مازالت حاضرة بقوة خفية، وإن اختلفت الآراء حول زوايا النظر لهذه الظاهرة. ومع ذلك يمكننا القول بأن الاستشراق كان **مثالاً تطبيقياً** لفكرة أكبر عند إدوارد سعيد، فكرة تتجاوز ظاهرة الاستشراق. إدوارد سعيد أحد أبرز أعلام الفكر ما بعد الكولونيالي (ما بعد الاستعماري)، الذي يناقش بصفة عامة العلاقات بين جهة قوية ومهيمنة وجهة مستضعفة ويجب إخضاعها ويسعى لتنقية المعرفة والحقائق من مؤثرات هذه العلاقات، وكتابه "الاستشراق" يعتبر من أركان الفكر ما بعد الكولونيالي في الغرب لأنه سعى لمناقشة هذا الموضوع عبر تطبيقه على مثال الشرق، وهو نفس ما فعله فرانز فانون بمناقشة علاقة أوروبا والبيض مع أفريقيا والسود، ونفس ما فعلته غياتري سبيفاك بمناقشتها علاقة الغرب وبريطانيا بالهند وآسيا (فانون وسبيفاك أيضاً من أبرز رواد مابعدالكولونيالية ودائماً يُذكران مع إدوارد سعيد عند الحديث عن هذا المجال). السياق أوسع بكثير من نطاق تطبيقه، الشرق، أفريقيا، الهند، إلخ، وإدوارد سعيد هو أحد رواد مجال الدراسات ما بعد الكولونيالية. **طيب، فهمنا، ولكن مازال نفس السؤال: هل مازلنا في حاجة لدراسات ما بعد الاستعمار؟** الإجابة من جديد أن هناك شيء أكبر بكثير من مجرد التعلق بمنطقة جغرافية (مثل الشرق) أو فترة زمنية (مثل عصر الاستعمار)، فعدا عن واقع أن هذه الظواهر أنتجت مؤسسات – بالمعنى المجازي – مازال تأثيرها حاضراً لليوم (والاستشراق هنا أبرز مثال على ذلك)، فإن تفكيك هذه الظواهر منهجية مهمة في كل مكان وفي كل وقت. حين يقوم إدوارد سعيد بتفكيك تراث المؤسسة الاستشراقية سوف نرى كيف تم إسقاط انطباعات المستشرقين على العلوم واعتبار كلامهم المتحيز حقائق موضوعية، ونحن نجد مثل هذا التصرف حاضراً إلى اليوم مثلاً في محاولات البعض أن يبرروا الهيمنة الذكورية بإجراء بحوث بيولوجية متحيزة تحاول إثبات ضعف النساء مثلاً، أو محاولات البعض تبرير العنصرية بإجراء بحوث اجتماعية تحاول إثبات دونية الأعراق الأخرى. وحين يوضح إدوارد سعيد كيف يتم تفسير الأديان والأيديولوجيات والثقافات والتاريخ، سنجد مثل هذا التصرف حاضراً في التعصب الديني الذي يعيد تفسير النصوص الدينية لحماية نفسه ضد الآراء المختلفة وسنجد مثل هذا التصرف حاضراً في الخطابات الحكومية التي تسعى لتشويه المعارضة عوضاً عن فهمها. الأمر أكبر من استشراق أو مابعداستعمار، ولذلك أقول أنه من المهم جداً أن نقرأ إدوارد سعيد، لأن الفكرة ليست فقط علاقة الغرب بالشرق، ولكن الفكرة علاقة البشر بالبشر، سواءً كانت غرب وشرق، أو شرق وشرق، أو غالبية وأقلية، أو حكومة وشعب، أو أي معادلة تدخل فيها عناصر السلطة والقوة والهيمنة والخضوع، وأي علاقة تُمارس فيها وسائل التنميط والاختزال وابتكار صور مشوهة تترسخ عبر الأجيال وعبر الكتب والبحوث ويتم بين كل حين وآخر إعادة تدويرها حتى تكاد تصبح هذه الصور المشوهة من المسلمات! كل هذا يمكن اكتشافه أو بلورته (فهذه أمور دارجة اليوم وتُناقش كثيراً) عند قراءة إدوارد سعيد. وهناك شيء آخر... حين نقرأ لإدوارد سعيد سوف نرى الشجاعة التي تميز بها، الشجاعة في طرح الأفكار وفي مواجهة سلطة ثقافية كبرى وظاهرة عالمية مترسخة، الشجاعة في الالتزام بمواقفه. ليس من السهل مطلقاً أن يظهر شخص في الغرب ليفضح تحيز الغرب تجاه الشرق وليكشف الصور النمطية التي تُشوّه الشرق لحماية الغرب، وليس من السهل مطلقاً أن يقف رجل بقوة للدفاع عن فلسطين والفلسطينيين وسط الغرب الذي لا يحتمل أي نقد لإسرائيل ويكاد يُجرم حتى المطالبة بحقوق الفلسطينيين وانتقاد أي جرائم ترتكب ضدهم. إدوارد سعيد لم يكن ليصبح أحد أبرز مفكري العصر الحديث لو لم تكن لديه الشجاعة اللازمة لمواجهة تلك الظواهر والثبات اللازم للصمود في ساحة المعارك الفكرية. إن أعمال إدوارد سعيد بطولات فكرية فتحت الباب أمام الكثير من الأفكار التي تنتصر للفئات المضطهدة، وهي بطولات ليست في ساحة صراع الحضارات، كلا، ولكنها بطولات في ساحة "صراع الجهل" كما قال إدوارد سعيد، الجهل الذي لا يستطيع وربما لا يريد **فهم** الآخر فيقرر **احتواء** الآخر، يجعل الآخر وحشاً تجب محاربته وحجره، يجعل الآخر حضارة أو ثقافة شريرة، الجهل الذي يحاول حماية نفسه بجعل الآخر عدواً، الجهل الذي يرى أن كراهية الآخر أسهل من حبه الذي يحتاج لمعرفة وفهم... هذا الجهل حاربه إدوارد سعيد بكل بطولة. لماذا يجب أن نقرأ لإدوارد سعيد؟ لأن إدوارد سعيد كان بطلاً حقيقياً، ونحن نحتاج جداً للأبطال...

# 31

Va te faire foutre.

# 32

انجح.

# الفصل الثالث عشر:

# لا تتوقف عن النجاح

زبدة الحياة أنك لا تستطيع التوقف عن النجاح، فهكذا تُصنع الزبدة أصلاً، بالهز والتمخيض المستمر... لحظة، هذه طريقة صناعة الزبدة أم اللبن الرائب؟ المهم أن تنظر لحياتك على أنها من مشتقات الألبان وبصفة عامة تحتاج للتمخيض، قد تكون حياتك زبدة، ربما جبن، ربما زبادي بالفواكه، لا أحد يعلم سواك! ولذلك لا تتوقف عن التمخيض، أي لا تتوقف عن النجاح. لحظة هو التشبيه هنا يعني حياتك اللبن؟ أم نجاحك اللبن؟ حياتك اللبن وعملك التمخيض والزبدة هي النجاح؟ حياتك المطبخ؟ إمكانياتك اللبن؟ وطموحاتك الزبدة؟ يعني... أنت البقرة؟ المهم ركز على النجاح، بقرة ولا بطاطا، المهم تنجح... آه، لا لحظة، صفات الإنسان الناجح أن يكون إنسان... طيب، الخطوة الأولى أن تتحول من بقرة إلى إنسان، لكن أول شيء تحلب نفسك وتضمن أن لديك كمية لبن قبل ما تتحول إنسان وتمخضها، تمام؟ عشان بعدين تحقق.. زبدة الحياة... المهم ألف مبارك عليك النجاح وهذا آخر فصل في الكتاب.

## خاتمة

أعتذر، يجب أن أذهب الآن، لذلك أظن أن الكتاب انتهى، يلا، نراكم على خير.